علم النبات

ودليلنا فيه لسان اليونان

للاب انستاسي ماسي الكرملي
عضو مجمع اللغة العربية الملكي

تحرير

في اثناء معارضتنا الالفاظ العربية بالكلم اليونانية ، عثرنا على تحقيقات غريبة ، ولولا هذه المعارضة ، لما اهتدينا اليها . وكذلك نقول على علم الحيوان ، من طيور وحشرات وسمك . وقد ظفرنا بمثل هذه الضوالّ في مطاوي مقابلتنا حروفنا بحروف اللغة الرومية (الرومانية او اللاتينية) فوقفنا على شيء كثير من هذا القبيل

ونحن نذكر هنا بعض الامثلة لهذه التحقيقات لعلها تدفع غيرنا الى مجاراتنا في مثل هذه الخدمة للغة ، فتجلي ظلمات ولا يبقى فيها ما يشي الابصار ، ويحير الافكار ، فنقول :

١ — الاسفنط — ٢ — الافسنتين — ٣ القيصوم

الاسفنط ، بكسر الهمزة والفاء ، وتفتح الفاء وفيها لغات عديدة وردت في كتب متون اللغة ، نقلاً عن الشراء وهي مذكورة في القاموس ولسان العرب منها : الاصفنط بالصاد وبالقنين المذكورتين فويق هذا . والاسفنيد ، بزيادة عين مفتوحة وياء ساكنة . والاصفند ، بنون في مكان الياء ، والاصفد كالاكبر ، « هو المطيب من عصير العنب ، او ضرب من الاشربة ، او أعلى الخمر . سميت لان الدنان تسفطها اي تشربها أكثرها ، او من السفيط للطيب النفس » اه عن (ق) في (س ف ن ط) . ولم يمرّ بخاطر اللغويين ان الكلمة معربة من اليونانية اي Apsinthion وسماها الخمرة المطيبة بما سماه العربون أو التقة بالافسنتين وجرى عليه المعاصرون وقد نشأ في مطاوي التعريب عدة لغات ذكرنا منها ما اشتهر

ونرى من هذين التعريبين الاسفنط (ولغاتها) والافسنتين ان اهل الجاهلية قربوا اللفظة من الوزن العربي ومن الصيغة المبينة ، اي انهم قدموا السين على الفاء ، بخلاف المولدين فانهم أبقوا

نظام الاحرف على اصله اليوناني ليهتدي اليه من يراد اثبات المعنى الحقيقي للفظ ، لكنهم لم يراعوا الاصل كل المراعاة لان هذا الاصل هو بالثاء المثلثة لا بالمثناة

ولعل السبب ان هناك لغة قديمة تجعل الثاة المثلثة سيناً ، على ما هو جارٍ الآن في سورية وديار مصر فعدلوا عنها الى السبيل الامين القويم (١)

بقي علينا ان نعرف من اين لليونان (٢) كلهم الافسنتين . فلقد اتفق فقهاء اللغة على جهلهم اصلها ، لكنا نرى ان الكلمة منحوتة من حرفين ، من apsi وهي من اصل عربي هو « عَبْسَد » بفتح العين واسكان الباء الموحدة ، وفي الآخر دال . ومعناه النبت الذي يسميه علماء النبات Artemisia Absinthium وهو كثير في ديار نجد المشهورة « بديار الشيح والقيصوم » وما الشيح إلا نوع أو ضرب من هذا « العبد » . — والكلمة الثانية « انثوس » anthos اي زهرة فيكون معنى كلمتهم المنحوتة « زهرة العبد » اي زهرة هذه النبتة المعروفة بالعبد

ومن الغريب انك لا تجد وصفاً دقيقاً في دواوين اللغة ليفهمك حقيقة هذه الزهرة النجدية، إنما وصفهم وصف خاصية لا غير . فقد جاء في لسان العرب في مادة (ع ب د) : « ابن الاعرابي : العبد : نبات طيب الرائحة . وانشد :

حرّقها العبدُ بنطوان فاليوم منها يوم أرْوانه

قال : والعبد ، تكلف به الابل ، لانه مليئة مسمنة ، وهو حار المزاج ، إذا رعته الابل عطشت فطلبت الماء » اه

وفي الشارح مثل هذا الكلام . أما القاموس فقد إجترأ : بقوله : «العبد : نبات طيب الرائحة» اه

أما بعد هذا فقد عرفت معنى العبد للنبت . وما ذكره اللسان من أوصافه هو عين الحق ولا جدال فيه

أما ان اليونانيين جعلوا في مكان الدال سيناً فقالوا « عبس » فيحتمل ان يكونوا قد سمعوا اللفظة العربية من قبيلة تقلب الدال سيناً في بعض الاحيان . فقد قالوا مثلاً : الارتماس في الارتماد ، والاملس في الاملد وهي الفلاة التي ليس فيها نبات . الى غيرهما من الالفاظ .

---

(١) ذكر الزهر ان قلب السين الى الثاء والعكس من لغة العرب (الزهر طبعة بولاق الاولى ١ : ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٩) . وراجع ايضاً كتاب البيان والتبيين للجاحظ (الطبعة الاولى ١ : ٨٦) والجمهرة لابن دريد . مادة (س و خ) فقد قال : ساخت رجله في الارض وثاخت . وفي ديوان الادب للفارابي : مرس الشعر ومرث . وفي فقه اللغة للثعالبي : يقال ثنا الشيخ وسنا . وفي الصحاح للجوهري : مرس الصبي أصبعه لثة في مرتها أو لثته . وراجع معاجم اللغة في مثالة ومسالة

(٢) منع بعضهم ان يقال (اليوناني) بمعنى (أهل يونان) أو (اليونانيين) ، مع انها وردت مراراً لا تحصى في كلام الاقدمين . وفي أساس البلاغة للزمخشري في يمن : « ويقولون نحن يمن وهم شام » وفي سورة يوسف : « واسأل القرية التي كنا فيها » فذاك من هذا

وعليه يكون الاسفنط وما جاء من لغاته المختلفة خاصًّا بما يسمى اليوم في فرنسة Absinthe وهو ضرب من المسكر معطر « بالعبسُد » وقد حرمت شربهُ الحكومة الفرنسية منذ سنة ١٩١٥

ويبقى اسم الافسنتين إسمًا عامًّا شاملاً لجميع ضروب هذا النبت وهي كثيرة . وأما « العبسد » فيبقى خاصًّا بهذا الضرب الذي ذكرنا اسمهُ عند العلماء أي Artemisia Absinthium

٤ — العار

ما العار ؟ — العار ، وزّان سحاب : « الريحان يزين به مجلس الشراب » (عن القاموس) لكننا نعلم أن الريحان يعني كل نبت له رائحة طيبة . فأي الرياحين هو ؟ — قال في اللسان في عمر : « العار : الآس . وقيل : كل ريحان عار ... وقيل في قول الاعشى : « ورفنا العارا » أي في قوله :

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا لهُ ورفنا العارا

أي رفنا لهُ اصواتنا بالدعاء . وقلنا : عمرك الله . وقيل : العار ههنا الريحان يزين به مجلس الشراب ، ويسميه الفرس « ميوران » . فاذا دخل عليهم داخل ، رفعوا شيئاً منهُ بأيديهم وحيوه به . قال ابن بري : وصواب انشاده : ورضنا العارا . فالذي يرويه « ورفنا العارا » هو الريحان أو الدعاء . أي استقبلناهُ بالريحان او الدعاء لهُ . والذي يرويه : ورضنا العارا ، هو العمامة . وقيل : معناه : عمرك الله وحياك ، وليس بقوي . وقيل : العار هنا أكاليل الريحان يجعلونها على رؤوسهم كما تفعل العجم . قال ابن سيده : ولا أدري كيف هذا

قلنا : والذي بدا لنا بعد التحقيق : ان العار ضرب من الريحان وهو باليونانية عمار أيضاً بعد حذف علامة الاعراب عندهم أي Amarakos أو Amarakon وهو ضرب من الريحان يشبه كل الشبه المسمى بالمهزنجوش او المردقوش ، وهتان كلمتان فارسيتان . والعار بلسان الطم Origanum Amaracus . وقد أقر البصراء باللغة الاغريقية انهم يجهلون اصل هذه الكلمة ، فهي لا تتصل بمادة من مواد لسانهم يوجه معناها توجيهاً يسلم به العقل . أما نحن فنظنها عربية النجار من العار وهو كل شيء يوضع على الرأس من عمامة وقلنسوة وتاج وغيرها . اذ يتخذ منهُ أهل الشرب واهل الفرس ما يزينون به رؤوسهم ، ولو بطاقة منهُ بحيث يراها الجميع

وقد شاهدت ذلك بعيني رأسي في سنة ١٨٩٤ في شهر ايلول (سبتمبر) وكنت ماندا الى العراق بعد غيبة ثماني سنوات فرأيت جماعة من الفرس في سفينة تقلهم الى بوشهر (في خليج فارس) وكانت طاقات العار تزين رؤوسهم وكلهم يرافقون العروسين الى المدينة المذكورة

٥ — السسق

في القاموس : « السسق ، كجعفر وزبرج وقنفذ وجندب : اياسمين والمرزنجوش » — وفي اللسان : « السسق : السمسم . وقيل : المرزنجوش . والسسق : الياسمين . وقيل : الآس . وقال الليث : سسق » اه . (كذا . اي بلا ال كأنه علم زهر اجنبي)

فالسسق اسم واحد يدل على ازهار عدة ، او على ثلاثة نباتات . فأين الحقيقة ؟ — لننظر ما جاء مثل هذا اللفظ في اليونانية . فاننا نرى فيها Sampsouchon او Sampsuchon ومعناها المرزنجوش والمردقوش لا غير . واللفظ واحد اذا حذفنا من حرفيهم علامة الاعراب . فعلمنا من هذه المعارضة اللغوية ان السسق لا يعني الا المردقوش . الا ان السلف توسعوا في معناه حتى اطلقوه على أنبتة أخر . وهذا الاطلاق او التوسع يلقي الابهام في معاني الالفاظ . ولهذا يحسن بنا ان يعاد الى المعنى الاصلي لكي لا يضل الباحث في تيه المعاني المتعددة المختلفة

واليونانيون لا يعرفون مأتى هذه الكلمة . فلعلها منحوتة من « شم التشوق » ويراد بالتشوق كل دواء ينشق . والدواء عند السلف كل ما يستشفى به من نبات او سائل او دقيق وذلك لشهرة طيب الرائحة في هذا النبت العطر

٦ — السنسق

في القاموس : « السنسق (كجعفر) صغار الآس . وكذلك في اللسان . وعندنا انه لغة في السسق المارة الذكر . وقلب الميم نوناً اكثر من ان يحصى . من ذلك طانهُ الله على الخير وطامهُ بمعنى جبله . والايم والاين : الحية . والمسح والنسح (بالكسر) ريح الشمال . وانتقع لونهُ وانتقع . والحجرير والحنجرير : الماء المر القليل الى غيرها . (راجع المزهر ١ : ٢٢٢ و٢٢٥ . وهامش خزانة الادب للبغدادي طبعة بولاق الاولى ٤ : ٥٨١) . أما ان اللغويين ذكروا لهُ معنى صغار الآس ، فهو لان ورق السنسق يشبه بعض الشبه ورق صغار الآس . فلا عجب بعد هذا إذا وهم بعضهم في معرفة الحقيقة على ما هي

٧ — السفسف

السفسف ، بسينين وفاءين على ما في اللسان وعلى وزن جعفر : « ضرب من النبات » وفي شرح القاموس : « السفسف كجعفر : ضرب من النبت . قال ابن دريد : لغة يمانية ، وهو الذي يسميه أهل نجد : الشقر والشقز والمرزنجوش » . اه

وعندنا ان السفسف تصحيف آخر للسسق

٨ — الصعتر . والصتر

مرّ بنا في المادة السابقة ان اهل نجد يسمون الشنف او السمسق اي المرزنجوش الصعتر (بالعين) او الصتر (بالزاي) . وهو من اليونانية صتفر وزان عدهد . وسماه العقدة ويراد به ضرباً من المردقوش اسمهُ بنسان علم النبات Origanum Majoranum وبالفرنسية Marjolaine a Coquilles وبالانكليزية Knotted Majoram

٩ — اللبق

في القاموس : « اللبق ، بالكسر ، شيء اسود يجعل في الكحل » . — وعبارة اللسان : شيء اسود يجعل في دواء الكحل . واحدتهُ لبقة . وقد يكون اللبق واللبقة من باب الفوق والفوقة » اه — وكل هذا لا يعرفنا حقيقة هذا الشيء الاسود . ولولا اليونانية لما كنا نهتدي اليه ، فهو للسمى « لبق » ايضاً بعد حذف علامة الاعراب اي Lution وعند الرومان Lycium وهو شوكة الصباغين عند علماء العرب من عارفي النبات . ومن الغريب ان المولدين من السلف لم يعرفوا ماوضعهُ اجدادهم في ايام الجاهلية . ولاجرم ان الاقدمين متا اقتبسوها من اليونان لان هذا النبت مسمى باسم البلاد التي ينبت فيها اي لوقية Lukia وهي من أعمال بلاد الروم وقد اشار اليه الباني الشهير ديسقوريدس في كتابه في الباب الاول في القطعة الـ ١٣٢ ، وذكر خاصيتهُ واستعمالهُ في الكحل والطب جالينوس الحكيم في الباب ١٣ في القطعة ٢٠٤ . ومن العجب ان المعربين في عهد بني العباس لم يهتدوا اليه

فاللبق اسم الشجرة والثمرة معاً ، كما تقول الزيتون فانهُ اسم الشجرة والثمرة معاً . والخاصية التي يشار اليها في الكحل مودعة في الثمرة واسم اللبق عند علماء الغرب Rhamnus Tinctoria وبالفرنسية Nerprun des Teinturiers وبالانكليزية Dyer's Buckthorn

واذا بحثت في المعاجم الفرنسية والعربية او الانكليزية والعربية عن هذين اللفظين لم تجد اثراً للكلمة العربية الصحيحة اي اللبق ، بل تجد شوكة الصباغين وهي ترجمة معنوية لا علمية

١٠ — البَلْخ والبُلاخ

في القاموس : « البلخ ، بالفتح ، شجر السنديان [1] كالبلاخ كغراب » . وفي اللسان :

(١) من غريب أعمال أصحاب المعاجم انهم يشرحون كلمة بكلمة وهذه الكلمة الثانية لا أثر لها في معولنا من دواوينهم . هذه الكلمة البلخ او البلاخ جاء شرحها في القاموس واللسان بقولها : السنديان وأنت اذا بحثت عن السنديان في معجمها في (سند) او (سندن) أو (سدن) او اي تركيب شئت ، لا تجد لها شرحاً . فهذه احدى الهفوات التي تؤخذ عليهم . فكان يجب ان يتنبه عليها من جاء بعد هؤلاء الاعلام الاقدمون حتى لا يأتيها من بنقل عنهم ، لكن من تناهى ؟

« البلخ : شجر السندیان أبو العباس : البلاخ : شجر السندیان وهو الشجر الذي يقطع منهُ كديناتٍ[1] القصارين . والله اعلم » اه

وكلا اللغويين لم يزد على هذا القدر القليل في التحلية والتعريف

والكلمة تنظر الى اليونانية Baphikè (Kokkos) [2] وهذا الشجر سماه بعض العوام جيّداراً (راجع محيط المحيط للبستاني والمؤلف لم ينبه على ماهيتها) واسمهُ العلمي Quercus coccifera وهو الشجر الذي يقع عليهِ الترمز واسمه بالفرنسية Chêne او Chêne au kermès, chêne coccinéو Garouille او بالانكليزية Scarlet oak او Kermes Oak

***

ثلاثة عشر كلمات من مئات من الحروف التي استقرينا تحقيقها في انواع الموضوعات . وربما عدنا الى نظائرها من سائر المصطلحات تثبتاً من الحقائق ووضع المعاني في مبانيها . والله الهادي الى سواء السبيل

---

(١) لم يضبط المؤلف هذه الكلمة بالشكل الكامل على خلاف عادته : بل لم يذكرها في ديوانه في أي مادة شئت . وكذلك لم يذكرها سائر اللغويين . انما الكديناتٍ جمع ، ومفرده كديتق ، بكاف مضمومة وذال معجمة مفتوحة يليها ياء ساكنة فتون مكسورة وفي الآخر قاف . والكديتق : مدق القصارين الذي يدق عليه الثوب قال الشاعر :

قامة النصل الضليل وكف منصراها كديتقا قصار

والمجد أيضاً لم يذكرها في قاموسه . وذكرها صاحب اللسان في (كدتق) وعنه أخذنا هذا التعريف وبيت الشعر

وذكرها صاحب محيط المحيط في (كدتق) بذال مهملة و (كدتق) بذال معجمة ، وضبطها في الموطنين ضبطاً مغلوطاً فيه . فقد قيدها بضم الكاف وكسر الدال المهملة او المعجمة ، فياء ساكنة وفتح التون وفي الآخر قاف ، وهو ضبط يوافق ما في معجم قريتج ويخالف ما جاء في معاجم العرب . والعرب لم يرووا الكديتق بالدال المهملة وان كان أصلها الفارسي بالدال المهملة

وقد هذبن الغلطين بينهما صاحب البستان في كدتق وكدتق فليصلح كل ذلك . وقد قلنا ان أصلها الفارسي بدال مهملة . نعم . لكن في الآخر هاء محنة لا قاف

اذن في قول اللسان : « كديتقات » غلطان ظبع . الاول رسمها بالدال المهملة ، والثاني حذف التاء . والصواب ان يقال : كديتقات

(٢) من مزايا اللغة العربية أن الباء لا تجاور الفاء وبالعكس فان تجاورتا دل ذلك على العجمة . مثال ذلك : البفت وهو ثوب مهلهل من القطن أبيض وهو من الفارسية بافته . وكذلك النبأة بمعنى المطرة السريعة ساعة ثم تسكن فهي مقلوب pluvia الرومية . والنبأة لم يذكرها الا القاموس وشارحه دون سائر المعاجم

ولما كان هذان الحرفان لا يتجاوران قلبت التاء لاماً أو ان التاء قلبت الى الباء . ثم صيرت لاماً لتتمكن من النطق بهما مثل بشق المسافر وشق ، والوشل والوشل . وجاء مهذباً ومهذلاً اي سريعاً . ووقع التوم في دأدال وبدال : اذا اضطرب أمرهم . والتدليب والتدليل الى غير ذلك

على ان ابدال الفاء لاماً يرى في نفس اللغة العربية نظائر من اللغة الاعجمية . من ذلك توطم . تنقل بالنالية وتلطف . وزحل الرجل كزحف والزحليف كالزحليف وهو المكان الضيق الزلق من الصفا وخيل عن القوم وغيف : اذا كع . وفيه ابدالان من حرفين الى نظائر هذه الامثلة